مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

العلاج بالمعنى لدى فيكتور فرانكل من وجهة نظر فلسفية

تأليف:
كلوديا ريتينجر

ترجمة:
أحمد مظهر غالي

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 2024-11-15

جميع الحقوق محفوظة © 2024

العلاج بالمعنى لدى فيكتور فرانكل
من وجهة نظر فلسفية

تأليف: **كلوديا ريتينجر**
ترجمة: **أحمد مظهر غالي**

مقدمة

يشتهر فرانكل بتركيزه على المعنى في العلاج النفسي ووصفه لما يسمى **النيوروز النوجيني** .

في المقالة التالية، لن ينصب التركيز الرئيس على مفهومه حول إرادة المعنى، بل على افتراضاته المبنية على خلفيته الفلسفية.

أريد أن أوضح أن إرادة فرانكل للمعنى ومفهومه للحرية متضمنان في نظرية ميتافيزيقية قوية. في حين أن نقطة بداية فرانكل هي اعتراضه على التحديد من خلال الآليات البيولوجية أو النفسية، وتأكيده على الحرية والمسؤولية، فإنه عند الفحص الدقيق يصبح من الواضح أن نظريته لديها ميل إلى الحتمي أيضاً؛ أي النزعة الغائية، وتكمن الخصوصية هنا في أن فهم فرانكل للحرية والمعنى يشتمل على عناصر الحتمية.

{النيوروز النوجيني} هو مصطلح في علم النفس يشير إلى حالة اضطراب نفسي ينشأ نتيجة نقص المعنى أو الغرض في حياة الفرد، وهو متميز عن أشكال أخرى من العصاب، ويتعلق بالبحث عن المعنى وحالة الفشل في الوصول إليه.

فرانكل (1986 [1946])[1]كان هدفه الأساسي هو تجنُّب جميع أشكال الاختزال في ما يتعلق بالبشر، حيث كانت انتقاداته الأولية متخذاً التحليل النفسي الفرويدي وعلم النفس الفردي لأدلر في العمل ووصفها بأنها نظريات اختزالية، بينما يحاول التحليل النفسي فهم السلوك البشري على أساس مبدأ المتعة النفعية/ التوازن النفسي، فإن علم النفس الفردي يفهم السلوك البشري بوصفه تعبيراً عن إرادة القوة. من ناحية أخرى، يرى فرانكل أن السلوك البشري يمكنه، ولا ينبغي، اختزاله في آليات نفسية أو بيولوجية، حيث يتميز الإنسان بشكل أساسي بكونه روحانياً، ككائنات روحية، فإنهم ليسوا مجبرين ولكنهم قادرون على التصرف بحرية ومسؤولية وإدراك القيمة والمعنى. لفرانكل ينتمي الإنسان وجودياً إلى ثلاثة أبعاد: البعد الجسدي (الجسد)، والبعد النفسي (العقل)، والبعد الوجداني (الروحي)

من الناحية الوجودية، فإن هذه الأبعاد الثلاثة هي أنماط مختلفة للوجود، وبالتالي لا يمكن اختزالها في بعضها البعض. يرى فرانكل أن الظواهر الإنسانية الفريدة تقع في البُعد العقلي. ونظراً لكون النظريات الاختزالية عمياء عن البعد العقلي، فإنها تسيء تفسير مثل هذه الظواهر، ولا تتمكن من تحقيق العدالة المناسبة لظاهرة الإنسان.

أود أن أعرف الاختزالية بأنها منهج علمي زائف يتجاهل إنسانية الظواهر من خلال تحويلها إلى مجرد ظواهر ثانوية، وبشكل أكثر تحديدا، عن طريق اختزالها إلى ظواهر أقل بشرية. في الواقع، يمكن للمرء أن يُعرِّف الاختزالية بأنها ما دون الإنسانية. على سبيل المثال، اسمحوا لي أن أتناول ظاهرتين ربما تكونان أكثر

الظواهر إنسانية، كالحب والضمير. [...] الآن، الاختزالية من شأنها أن تفسر الحب على أنه مجرد تسامي للجنس، والضمير من حيث إنه الأنا العليا فقط. إن رأيي هو أن الحب في الواقع لا يمكن أن يكون مجرد نتيجة لتسامي الجنس؛ لأنه كلما حدث التسامي، كان الحب هو الشرط المُسبق طوال الوقت. [...] ويتم تعيين الضمير إذا لزم الأمر لمعارضة تلك الأعراف والمعايير والتقاليد والقيم التي تنتقل عن طريق الأنا العليا. وبالتالي، إذا كان للضمير، في حالة معينة، وظيفة مناقضة الأنا العليا، فمن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون متطابقاً مع الأنا العليا.« (فرانكل،: 2014 (1969)[2] ص (7/6)

لأن هدف فرانكل كان إعادة إضفاء الطابع الإنساني على العلاج النفسي، فإن معظم كتاباته تهتم بتوضيح البُعد العقلي. وجميع مفاهيمه المهمة، بما في ذلك «المعنى»، و«القيم»، و«الحرية»، و«المسؤولية»، و«الانفصال عن الذات»، و«التعالي على الذات» التي تنتمي إلى هذا البُعد. تعتمد أنثروبولوجيته على الافتراضات الرئيسة التالية:

(1) البشر جزء من ثلاثة أبعاد أنطولوجية متنوعة وغير قابلة للاختزال: البعد الجسدي، والنفسي، والعقلي والأخير هو البعد الإنساني الفعلي.

(2) نظراً للبُعد العقلي، فإن البشر أشخاص.

(3) كأشخاص، نحن لسنا محددين بيولوجياً و/أو نفسياً، ولكن يمكننا التصرف بحرية ومسؤولية.

(4) كأشخاص لدينا القدرة على الانفصال الذاتي والسمو الذاتي.

(5) كأشخاص، دافعنا هو إرادة المعنى.

(6) يمكن تحقيق المعنى من خلال إدراك القيم.

(7) القيم والمعنى مُعطاة بشكل موضوعي.

(8) لا يوجد سوى إجابة واحدة ذات معنى لكل موقف.

(9) في إدراك المعنى نتصرف بحرية ومسؤولية.

(10) نستطيع أن نجد هذه الإجابة ذات المعنى بواسطة ضميرنا.

(11) ما هو ذو معنى لكل واحد منا قد حدده الله مُسبقاً؛ لأن المعنى الذاتي هو جزء من المعنى الفائق.

(12) يرتبط البشر بالله، سواء بوعي أو دون وعي.

الشخص الروحي[3]

جوهر أنثروبولوجيا فرانكل تُشكل فهمه للبشر كأشخاص. ويتميز الإنسان بثلاث خصائص وجودية (فرانكل: 2005، ص117 [1975]):

أولاً، الوجود الشخصي فردي وغير قابل للتجزئة. ثانياً، الوجود الشخصي كيان كامل ولا يمكن دمجه. ثالثا، كل شخص هو شيء فريد تماماً. وبسبب السمتين الوجوديتين الأوليتين، يستخلص فرانكل (2005: ص 118) أن الشخص لا ينشأ عن طريق التكاثر الجنسي؛ لأن الشخص لا يمكن أن يُخلَق من شيء قابل للقسمة وشيء يمكن دمجه.

ومن الناحية الوجودية، فإن الشخص لا ينتمي إلى العالم المادي مثل الجسد والنفس، ولا يمكن أن ينشأ من العالم المادي. فالوالدان لا يخلقان إنساناً روحانياً، بل إنهما يوفران فقط الركيزة الخاصة بها. من الواضح بالنسبة إلى فرانكل أن روحانية الإنسان تضاف بطريقة ما إلى الجسد، وليس ضمن فئات الزمان والمكان.

من منظور وجودي، يبدو من الواضح أن فرانكل يدعم وجوداً جوهرياً. وهذا يعني أن الإنسان يُفهَم على أنه جوهر سابق لعلاقته بالعالم، وغير قابل للتغيير بالتجارب والظروف. أما الموقف الأنطولوجي المعاكس، فهو يتبني وجهة النظر القائلة إن الشخص يتشكل من خلال علاقاته.

من المثير للدهشة أن فرانكل يرفض صراحةً افتراضات الأنطولوجيا الجوهرية، ويدافع عن الأنطولوجيا العلائقية، عندما يتعلق الأمر بفهمه للشخص، ويؤكد أن كلمة «أن تكون» تعني «أن تكون مختلفا»:

«أن تكون» يعني «أن تكون مختلفاً» - أي «أن تكون مختلفاً عن شيء ما»؛ العلائيقة في غاية الأهمية. في الواقع، العلائقية فقط هي «الموجودة». لذلك يمكننا أن نقول ذلك بهذه الطريقة: كل ما هو كائن لا يوجد إلا بالإشارة إلى شيء آخر. (فرانكل،: 1986 ص (5)

يحاول فرانكل صياغة مفهومه عن الشخص من خلال الإشارة إلى هذا الافتراض العلائقي مع تغيير بسيط:

الوجود الشخصي لا يعني فقط أن تكون مختلفاً، بل يعني »أن تكون مختلفاً تماماً، وآخرياً مطلقاً«

1986، ص 72)

ومع ذلك، ضمن فكرة الآخرية المطلقة، تُجسد الأنطولوجيا العلائقية شكلاً من الأشكال الجوهرية التي تكمُن وراء كتابات فرانكل ضمنياً، وهي شرط مُسبق لفهمه للحرية والمعنى. إن فهمه للإنسان من منظور

الجوهرية يصبح واضحاً عندما يصوغ غاية البشر، حيث هدفهم هو ذلك الوجود[4] (الوجودية) كي يقترب من جوهره (الطبيعي).. فرانكل، 2005، ص199.)

هذا ممكن فقط إذا كان الجوهر مُعطى بالفعل بصلة بينه وبين الوجود. إن العلاقة بين الوجود والجوهر هي المعنى؛ لأننا ندرك جوهرنا من خلال إدراك المعنى. من الممكن أن يرفض فرانكل صراحةً الأنطولوجيا الجوهرية؛ لأنه يريد التأكد من عدم إساءة فهم الشخص على أنه شيء مادي أو شيء وجودي. فكثيراً ما يذكر فرانكل (2005) أن الشخص ليس مادة، كما هو مفهوم عموماً، ولكنه كيان وجودي. وبما أن الشخص ليس جوهراً مادياً، بل جوهر غير مادي، فإن الشخص لا يتحدد سببياً.

الحرية والمسؤولية

يتميز الشخص الروحي بشكل أساسي بأنه حر، أو على العكس من ذلك، بما أن البشر ليسوا كائنات نفسية جسدية فحسب، بل كائنات روحية أيضاً، فهم أحرار.

يفهم فرانكل الحرية على أنها «التحرر من» و«الحرية من أجل». الحرية الكلية لها نموذج «من ماذا» و«إلى ماذا».

نموذج «من ماذا» في حرية الإنسان في كونه مندفعاً، و«إلى ماذا» في كونه مسؤولاً، وله ضمير.. فرانكل2011: ص59)

وبما أن البشر ينتمون إلى البُعد العقلي، فإنهم لا يخضعون لدوافعهم وعواطفهم وميولهم، بل لديهم القدرة على الانفصال عن الذات. يمكن للشخص أن يقرر ما إذا كان يريد تحويل «الاقتراحات» من البُعد النفسي الجسدي إلى أفعال. ويتحقق الجانب الإيجابي للحرية في السمو الذاتي، وهو ما يعني، حسب فرانكل، توجيه الذات عمداً نحو القيم والمعنى. ومن المثير للاهتمام أنه يربط الجانب الإيجابي للحرية بالمسؤولية. وبما أن المسؤولية - بالمعنى الأخلاقي - تُقيد بشكل عام حرية الفعل، فإن هذه المعادلة تبدو غريبة للوهلة الأولى.

في الفلسفة الأخلاقية (المعاصرة) «أن تكون مسؤولاً» عادةً ما يعادل أن يكون لديك التزام أو الامتناع عن القيام بشيء ما.

بالنسبة إلى فرانكل، المسؤولية لها دلالة أخلاقية أيضاً، إنها تقيد حرية الشخص، حيث إنه **ليس لديه الإمكانية فقط لأن يترك حياته تُوجَّه من خلال القيمة والمعنى، ولكن عليه الالتزام بذلك.**

{في بعض الأحيان تتطلب الحياة منا تحقيق القيم الإبداعية؛ وفي أحيان أخرى نشعر أنه من الضروري اللجوء إلى فئة القيم التجريبية. في وقت ما، نحن مدعوون، كما كان الحال، إلى إثراء العالم من خلال أفعالنا،

ومرة أخرى لإثراء أنفسنا من خلال تجربتنا. يمكن أن يكون الإنسان «ملزماً» بتجربة الفرح. وبهذا المعنى، فإن الشخص الذي يجلس في الترام والذي أتيحت له الفرصة لمشاهدة غروب الشمس الرائع، أو استنشاق الرائحة الغنية لأشجار السنط المزهرة، والذي يستمر بدلاً من ذلك في قراءة جريدته، يمكن في مثل هذه اللحظة أن يُتهم بالإهمال تجاه التزاماته.}

(فرانكل،: 1986 ص45)

وفي هذه المرحلة تتحول المسؤولية إلى التزام بتحقيق القيم. وكما سنوضح لاحقاً، علينا الالتزام باختيار الخيار الأكثر قيمة في كل موقف؛ لأنه فقط في الاختيار ندرك المعنى. لذلك، في المثال أعلاه، يمكن لفرانكل أن يذكر أن الرجل الذي يقرأ جريدته لا يؤدي مسؤوليته على الرغم من أنه يدرك القيم؛ لأن ذلك ليس الشيء الأكثر قيمة الذي يمكن أن يفعله في هذا الموقف. وبشكل أكثر وضوحا، يعبر فرانكل (2011 [1948]) عن هذا الموقف، حيث يبحث الإنسان عن المعنى النهائي، عندما يكتب أن مهمة الضمير هي «الكشف للإنسان» عن حاجة واحدة؛ أي الشيء الوحيد المطلوب.

وهذا يثير سؤالين؛ أولاً، لماذا توجد إجابة واحدة صحيحة فقط، لماذا توجد حاجة واحدة ضرورية صحيحة في كل حالة؟ يجيب فرانكل عن هذا السؤال بقوله إن كل شخص لديه هدف واحد، وهناك طريقة واحدة فقط للوصول إلى هذا الهدف.

أو لصياغة الأمر بشكل مختلف: هناك طريقة واحدة فقط لتحقيق جوهرنا. نستكشف هذا الخط من التفكير بشكل كامل أدناه عند مناقشة العلاقة بين المعنى والمعنى الفائق.

ثانياً، لماذا نحن ملزمون بتحقيق الخيار الأكثر قيمة في كل موقف؟ وبما أننا بذلك فقط نصل إلى هذا الهدف، فهذا ما يجب أن نفعله وهذا ما نودّ أن نفعله، يجيب فرانكل:

{يهدف التحليل الوجودي والعلاج بالمعنى إيصال المريض إلى أعلى درجة ممكنة من التركيز والالتزام. إن عملنا إذاً هو أن نبين كيف أن حياة كل إنسان لها هدف فريد يؤدي إليه مسار واحد فقط. ومن خلال توجيه هذا المسار. الإنسان هنا يشبه الطيار الذي «يقوده» ذلك المسار إلى المطار عبر السُحُب الليلية ليقوم بالهبوط الأعمى. وطريقة القيام بذلك معروفة جيداً: تُرسل محطة راديو برج المراقبة في المطار نحو الطائرة إليها المقتربة إشارتين مختلفتين من نوع مورس، **كل منها يغطي قطاعًا. عند حدود القطاعات - التي تشير إلى المسار المُعَد مسبقًا،** يسمع قائد الطائرة نغمة إشارة ثابتة، حيث المسار المحدد وحده يقود الطيار إلى هدفه.}

(فرانكل،: 1986 ص 55)

إن مقارنة الطيار الذي يتعين عليه أن يجد هدفه المحدد بالفعل، توفر أول إشارة إلى النظرية الميتافيزيقية التي يقوم عليها تفكير فرانكل، حيث كل واحد منا لديه هدف محدد سلفاً يجب أن نوجه أعمالنا نحوه. إن مسارنا محدد - يمكننا القول - من خلال القيم والخيارات ذات المغزى على التوالي. وهنا يصبح من الواضح أننا لا نستطيع اختيار أهدافنا ولا قيمنا، وأن تحقيق حريتنا يعني اتباع هذا الهدف الوحيد. إن اختيار خيار آخر لن يُرضي فكرة فرانكل عن الحرية، سيكون تعسفياً. عندما نجمع هذا الخط من التفكير مع تصور فرانكل للتحفيز، يصبح من الواضح أن ما يجب علينا القيام به يسير جنباً إلى جنب مع ما نريد القيام به. وبما أن فرانكل يفترض أن دافعنا كأشخاص روحانيين هو إرادة المعنى، فإننا نعتزم تحقيق هذا الخيار الأكثر قيمة، حيث إنه «يجب» أن يكون طوعياً، إذا جاز التعبير.

ومع ذلك، يقول فرانكل إن «ما ينبغي لنا عمله» هو قبل «ما نريد عمله»:

{«الواجب» وجودي قبل الإرادة. مثلما لا أستطيع الإجابة إلا إذا تم سؤالي، وكما أن كل إجابة تتطلب سؤال «إلى ماذا»، والسؤال «إلى ماذا» يجب أن يكون سابقاً للإجابة نفسها، كذلك يجب بالضرورة أن يكون سؤال «إلى ماذا» مسؤولاً قبل المسؤولية نفسها. إن ما أشعر أنه ينبغي عليّ فعله، أو ما ينبغي أن أكونه، **لا يمكن أبداً أن يكون فعالاً إذا لم يكن سوى من اختراعي،** وليس اكتشافاً. }.. (فرانكل، 2011: ص64

بمعنى آخر: كل موقف هو سؤال، وليس هناك سوى إجابة واحدة صحيحة لهذا السؤال. إن ما يتوافق مع تحقيق حريتنا ومسؤوليتنا كأشخاص يعُطى دائماً. وباختصار، نرى أن فهم فرانكل للحرية هو شكل آخر من أشكال الضرورة؛ أي اتباع هدف محدد سلفاً. ولأن الهدف محدد، فإن الأمر نفسه ينطبق على كل موقف على حدى.

على الرغم من أن نقطة بدايته كانت الدفاع عن فكرة الحرية في مواجهة الأنثروبولوجيا الحتمية، إلا أن نوعاً جديداً من الحتمية يأتي من الباب الخلفي. لا يوجد سوى بضعة أسطر في كتابات فرانكل ينص بوضوح على وجود شكل ثانٍ من الحتمية ينتمي إلى البُعد العقلي، ولكن ضمنياً في جميع أنحاء مجموعة فرانكل بأكملها.

وعلى النقيض من الحتمية السببية، يطلق عليها فرانكل: (2005 ص 122) »شكل أعلى من السببية أو الغائية«، هناك نوع من المعنى الذي «يتدخل من أعلى». (فرانكل،: 2005 ص141).

وبسبب انتمائه إلى البُعد العقلي، يكون الشخص منفتحاً على هذا النوع من الغائية. وكما أن البُعد النفسي الجسدي والحتمية السببية ينتميان معا، كذلك الأمر بالنسبة إلى البُعد العقلي والغائية. من الناحية الفلسفية، فإن افتراض الشكل الثاني للسببية يمثل إشكالية كبيرة. ليس من الواضح كيفية دعم هذا النوع من الافتراضات الميتافيزيقية، ولا كيف يمكن أن تسير السببية والغائية جنباً إلى جنب.

المعنى والمعنى الفائق

يعتمد مفهوم فرانكل للحتمية على فهمه للمعنى بوصفه موضوعياً. للمعنى مُكون موضوعي ومُكون ذاتي (ويمكن قول الشيء نفسه بالنسبة إلى القيم). لفرانكل (2011: ص88)،

المعنى ليس «شيئاً يصنعه» البشر، ولكنه شيء موجود دائماً في كل موقف و«يجب العثور عليه». وبهذا المعنى يكون المعنى موضوعياً. إنه ذاتي؛ لأن ما هو ذو معنى في موقف ما يتغير من شخص لآخر؛ لأن كل شخص فريد من نوعه، وله طريق خاص به ليتبعه. إذن ماذا يعني فرانكل بالضبط عندما يقول إنه يمكن العثور على المعنى؟، هل هناك علاقة بين فكرة فرانكل عن الغاية والجانب الموضوعي للمعنى؟، للإجابة عن هذا السؤال، علينا أن نلقي نظرة فاحصة على مفهوم فرانكل للمعنى الفائق. على الرغم من أن فرانكل يقول إننا لا نستطيع الإجابة عن سؤال المعنى النهائي، إلا أنه يقدم مفهوم المعنى الفائق. والحقيقة أن استجوابنا يجب أن يقتصر على معنى الجزء. لا يمكننا أن نبدأ في التشكيك في «الغرض» من الكون. الغاية متعالية إلى الحد الذي هي عليه دائماً ما تكون أسمى عن أي ما كان «مُمتلكها». ولذلك، يمكننا في أفضل الأحوال أن ندرك معنى الكون في شكل معنى فائق، باستخدام الكلمة لنقل فكرة أن معنى الكُلي لم يعد قابلاً للإدراك، ويتجاوز ما يمكن فهمه. سيكون مفهوم المعنى هذا بمثابة موازٍ لمُسلمة العقل الكانطية، حيث تتطلب عقولنا وجودها في نفس الوقت الذي لا يمكن لعقولنا فهمه..(فرانكل،: 1986 ص30)

لا يشرح فرانكل لماذا يجب أن يكون المعنى الفائق معادلاً للمُسلمات الكانطية. ليس من الواضح على الإطلاق سبب ضرورة افتراض معنى فائق. ولكن يصبح من الواضح أن المعنى الفائق هو شيء حقيقي، وشيء موضوعي. هناك علاقة بين المعنى الشخصي والمعنى الفائق بقدر ما يكون الأول مُضمناً في الأخير. ومن ثمَ يمكن لفرانكل أن يذكر أن المعنى الشخصي هو شيء موضوعي في العالم يمكن العثور عليه. العلاقة بين الغائية والمعنى الفائق والمعنى الشخصي تكمُن في افتراض أن المعنى الفائق «يسود دائماً بأفعالنا أو بدونها».(فرانكل: 1984 ص 141)، وأن هناك معنى نهائياً يتدخل في وجودنا. أصبح من الواضح الآن لماذا لا توجد سوى إجابة واحدة صحيحة وذات معنى لكل موقف في الحياة. وبما أن المعنى الشخصي مُضمَن في المعنى الفائق، فلا يوجد سوى خيار واحد يتوافق معه.. من الناحية الفلسفية، يلعب المعنى الفائق دوراً أساسياً في أنثروبولوجيا فرانكل. فبسبب المعنى الفائق، لدى الشخص إمكانية العثور على المعنى الشخصي من ناحية، ويكون مزوداً بإرادة المعنى من ناحية أخرى. ونظراً لموضوعية المعنى الفائق، فإن المعنى الشخصي يُعطى موضوعياً أيضاً. وبما أن المعنى الفائق يعمل بشكل سببي بمعنى الغائية، والذات تتجه نحوها، فإن الغائية متأصلة في التوجه نحو المعنى الشخصي.

دور الإله (الله) في أنثروبولوجيا فرانكل من الناحية الفلسفية

يلعب الله دوراً رئيساً في أنثروبولوجيا فرانكل. إن مفاهيمه الأساسية - «الشخص «، و«الضمير»، و«القيمة»، و«المعنى»، و«الحرية»، و«المسؤولية» - لا تصبح مفهومة تماماً إلا من خلال الإشارة إلى قوة متعالية. كما يوضح روهر (: 2009 ص 354)، فإن المعنى الفائق يشير إلى مبدأ وحدوي متعال، وهو صورة شخصية للإله.

يمكن العثور على التبرير النهائي للمعنى من خلال الإله، في كتابه الأسس الأنثروبولوجية:

{وبقدر ما أكون موجودا، فإن وجودي يتجه نحو المعنى والقيمة؛ بقدر ما أكون موجوداً تجاه المعنى والقيمة، فإن وجودي هو تجاه شيء أعلى بالضرورة في القيمة من وجودي – وبعبارة أخرى: وجودي هو تجاه شيء ما، لا يمكن أن يكون شيئاً، بل يجب أن يكون شخصاً – شخصاً فائقاً... باختصار: بقدر ما أنا موجود، فإن وجودي موجَه دائماً نحو الله، لقد قلنا بالفعل إن القيمة العليا مرتبطة بالله [ويرتبرسون، شيلر]، وأنه من الواضح أن القيمة العليا، أي المعنى الفائق، مرتبطة بشخص فائق.} (فرانكل،: 2005 ص (232/233)

في اتجاهه المتعالي الذاتي نحو القيمة والمعنى، يشير الشخص دائماً إلى الله؛ لأن القيم والمعنى متجذرة في الله. وبما أن الشخص يتجه أخيراً نحو المعنى ويريد إدراك المعنى بسبب إرادته للمعنى، فلا يمكن للشخص أن يفهم نفسه إلا فيما يتعلق بكيانٍ متعالٍ.

كل إدراك للمعنى، يمكن للمرء أن يفعله، هي حركة إلى الله. وفي ذات الوقت، فإن أصولها ترجع إلى الله. تتوافق هذه الحركة مع مفهوم فرانكل للسببية الأعلى من حيث الغائية. يستطيع الشخص التعرف على المعنى من خلال ضميره، الذي يصفه فرانكل بأنه صوت داخلي، هذا الصوت ليس صوت إنسان، بل هو صوت الله: {من خلال ضمير الشخص البشري، يوجد فاعل ما بعد الإنسان – والذي يعني حرفياً «السير من خلال». ليس من حقنا أن نجيب عن سؤال ما هو هذا «الفاعل»؛ لأن اهتمامنا بأصل الضمير هو أنثروبولوجي وليس لاهوتيا. ومع ذلك، قد يكون لدينا ما يبرر ادعاءنا بأن هذا العامل ما بعد البشري يجب أن يكون بالضرورة ذا طبيعة شخصية.}

فرانكل(2011: ص (60)

على الرغم من أن فرانكل يقبَل أن الأشخاص الملحدين أو اللا أدريين لا يربطون هذا الصوت المتعالي بصوت الله، إلا أنه من الناحية الفلسفية فإن هذا التحديد أمر لا مفر منه في أنطولوجيا فرانكل. ويؤكد فرانكل أن جميع البشر مرتبطون بالله. ومع ذلك، بالنسبة إلى البشر غير المتدينين، فإن هذه العلاقة مع الله غير واعية:

{[اللا وعي المتعالي] لا يعني أكثر أو أقل من أن الإنسان كان دائماً في علاقة مقصودة مع المتعالي، حتى ولو على مستوى اللاوعي فقط. إذا أطلق أحدهم على المرجع المقصود لمثل هذه العلاقة اللا واعية اسم «الله»، فمن المناسب أن نتحدث عن «إله غير واعي». ومع ذلك، فإن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الله غير واع تجاه نفسه، بل بالأحرى أن الله قد يكون غير واع للإنسان، وأن علاقة الإنسان بالله قد تكون غير واعية.}...

فرانكل (2011أ: ص(68)

وبما أننا على علاقة دائمة مع الله، فمن الممكن أن نوجه أنفسنا نحو المعنى وأن نجيب عن أسئلة حياتنا بطريقة ذات معنى، وبإدراك المعنى يتقرب الإنسان إلى الله.

الآثار المحتملة لممارسة العلاج النفسي

عند هذه النقطة يُطرَح السؤال ما إذا كانت الافتراضات الميتافيزيقية القوية في أنثروبولوجيا فرانكل لها آثار على ممارسة العلاج النفسي. إن العلاقة الفضفاضة بين النظرية والتطبيق تستلزم ألا يكون الأمر كذلك بالضرورة. ومع ذلك، هناك بعض الأدلة التي تدعم الفرضية القائلة بأن نظرية فرانكل الميتافيزيقية أثرت على عمله العلاجي. على الرغم من أن فرانكل يؤكد على أهمية الفصل بين العلاج بالمعنى واللاهوت/الدين، إلا أنه يربط بين التدين المكبوت أو اللا واعي والأعراض العصبية.

{في بعض الأحيان يمكن رؤية أساس الوجود العُصابي في حالات النقص، حيث يتم قمع علاقة الشخص بالتعالي، ولكن على الرغم من أنه مختبئ في «اللاوعي المتعالي»، فإن التعالي المكبوت يظهر ويجعل نفسه ملحوظاً على أنه نوع من 'قلق القلب'. في كتابي الطبيب والروح وصفت حالة أدى فيها هذا القلق إلى 'نفس جسدي'، أو بالأحرى حالة قلب نوئوسوماتيك.{... (فرانكل، 2011أ: ص73/74)

في حالات العُصاب هذه، يقول فرانكل، إن مهمة العلاج بالمعنى هي تذكير المريض بتدينه اللا واعي. يظُهر هذا الفهم للأعراض العُصابية أن فرانكل لا يحافظ على الفصل بين اللاهوت والعلاج النفسي ولا موقفه المحايد تجاه الدين.

وقد تعرض هذا المزيج من الدين والعلاج النفسي لانتقادات حادة من جهات مختلفة، وخاصةً من المعالجين الإنسانيين والوجوديين.

على سبيل المثال، يرى فايسكوبف- جويلسون (: 1975 ص 238) أن العلاج بالمعنى ليس «مدرسة علاج نفسي علمية بالمعنى التقليدي ولكنه [...] دين علماني». إنها تربط بين الطبيعة الروحية للعلاج بالمعنى

والإفراط في التركيز على النوايا المتناقضة التي تتكون من افتراض أن المريض يجب أن يقبل الأعراض العصبية غير القابلة للتغيير بدلاً من مكافحتها:

{يمكن توضيح الطبيعة الروحية للاقتراح القائل بوجوب قبول المعاناة غير القابلة للتغيير بدلاً من محاربتها، والطبيعة الموجهة تقنياً للاقتراح القائل بوجوب المبالغة في المعاناة على النحو التالي: قال يسوع قبل الصلب: «يا أبتاه، إن شئت أن تنقل هذه الكأس ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لوقا39: 22).

لكن على حد علمي لم ينُقل عنه أنه قال:

«سأكون سعيداً بشرب كوبين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة أكواب!».}...

(فايسكوبف-جولسون،: 1975 ص240)

يأخذ انتقاد بيتل (2006 ص 490) خطّاً مشابهاً. إنه يربط بين تجارب فرانكل المؤلمة أثناء الهولوكوست، وإهماله للبُعد النفسي وافتراضه للمعنى الموضوعي. وفقاً لبيتل، فإن تركيز فرانكل على البُعد اللاهوتي ينعكس في تقنياته العلاجية المتمثلة في النية المتناقضة والانحراف. تعتمد كلتا التقنيتين على افتراض أن المعنى لا علاقة له بحياتك الداخلية أو عواطفك، ولكن يجب العثور عليه في العالم بطريقة متعالية ذاتياً، بل على الرغم من أن فرانكل قد أثبت فعالية هذه التقنيات، إلا أن بيتل (: 2006 ص 494) يشير إلى أن »السبب الكامن وراء الإكراه أو الهوس لم يتم حله«. العلاقة بين فهم فرانكل للمعنى كموضوع وإهمال الحياة الداخلية للشخص - عواطفه - واضحة ومباشرة. ولأن المعنى يجب أن يوجد في العالم وليس في أنفسنا - وخاصةً ليس في البعد النفسي الفيزيائي - فإن الجانب الأكثر أهمية في أنثروبولوجيا فرانكل للممارسة العلاجية هو التركيز على القيمة والمعنى في العالم، وليس على مشاعر العميل غير المقصودة. مثل الحزن والغضب وخيبة الأمل والسعادة وغيرها. مشاعرنا غير المقصودة تزعج أنفسنا وتمنعنا من التركيز على المعنى. إنها تعيقنا عن أن نكون أحراراً من أجل العالم، وأن نتصرف بطريقة مسؤولة. الشيء المهم بالنسبة إلى البشر كأشخاص هو أن ينفصلوا عن البُعد النفسي الجسدي، ليكونوا أحراراً في المعنى.

تعرض إهمال الحياة الداخلية للشخص لانتقادات حادة من قبل لانغل، أحد أتباع فرانكل (1994)، ويمكن اعتباره أحد الأسباب الرئيسة لفصل العلاج بالمعنى عن مدرسة فيينا للتحليل الوجودي في عام 1991.

يناقش لانجل (1994) أهمية التمييز بين المعنى الوجودي والأنطولوجي (الموضوعي). في حين يتم استنتاج المعنى الأنطولوجي من مبدأ التوحيد المتعالي، فإن المعنى الوجودي لا يعُطى بشكل موضوعي ولكن يخلقه الشخص بطريقة ذاتية. يجب على الشخص أن يشعر بما هو ذو قيمة بالنسبة إليه، وعليه أن يلعب دوراً نشطاً في عملية خلق المعنى.

يعالج لانغل تحديات اعتماد مفهوم المعنى الموضوعي للممارسة العلاجية:

{بسبب تقارب المعنى والمطلق، يمكن لفهم فرانكل للمعنى أن يكتسب طابعاً إلزامياً وأخلاقياً، يمكن دفع الواقع الإنساني والتجارب المؤلمة إلى الوراء بسبب المطالبة بالمطلق. هذا الفهم للمعنى يمكن أن يؤدي إلى طلب مفرط عاطفياً بسبب عدم وجود مساحة كافية للمعالجة العقلية. [...] نظراً لأن العلاج بالمعنى لا يهتم بكيفية تجربة القيم والشعور بها، فإن فهمه للمعنى يظل بارداً عاطفياً ومعرفياً بالنسبة إلى الأشخاص الأقل تديناً. وبالتالي، فإن العلاج بالمعنى لا يهتم بالعاطفة والتجربة الذاتية. بالنسبة إلى فرانكل، تعتبر التجربة الذاتية للمعالجين المحتملين «مضادة للعلاج المنطقي». إن التعامل مع السيرة الذاتية للفرد، والذي له أهمية حاسمة في كيفية تجربة المرء للعالم، يفُهم على أنه عقبة أمام التركيز الموجه نحو المستقبل على المعنى.})

لانجل (1994 ص19)

ملخص نقدي

تؤدي افتراضات فرانكل الوجودية القوية من الناحية الفلسفية إلى مشاكل مختلفة، والأكثر وضوحاً هو أن افتراضات فرانكل لم يتم توضيحها بشكل جيد ضمن نظريته. أحد الأمثلة على ذلك هو أن فرانكل يحاول استعادة الأنطولوجيا العلائقية في جميع أنحاء كتاباته مع افتراض الجوهرية. ولذلك، فإن مفهومه عن الشخص ليس متماسكاً طوال نظريته. إحدى الطرائق لتحسين هذا التناسق قد تكون استكشاف الفكرة التي تقول إن الشخص يوجد فقط في علاقة مع الله. لكن فرانكل لم يكشف بشكل كامل عن هذا الإطار الأساسي. على العكس من ذلك، فهو يميل إلى إخفاء مقدماته الميتافيزيقية بدلاً من تعميقها أو مناقشتها بشكل نقدي. وهذا يؤدي إلى فهم غير كامل لمفاهيم فرانكل المركزية، وفي المقام الأول فهمه لـ «المعنى» و«الحرية».

إن تركيزه على الحرية والمعنى والمسؤولية هو مجرد ذريعة. نظراً لمستوى أعلى من الحتمية، لا يدعم فرانكل وجهة نظر وجودية حول الحرية. إن تركيزه على الحرية والمسؤولية والمعنى يظهر في ضوء مختلف تماماً بعد إعادة بناء افتراضاته الأساسية. وتصبح الحرية شكلاً أخر من أشكال الضرورة، ويفقد المعنى المزيد والمزيد من طابعه الذاتي، وتصبح المسؤولية التزاماً بتحقيق القيم.

تبدو حتميته العليا موضع شك إلى حد ما إذا أخذنا في الاعتبار أن فرانكل يعارض دائماً النظريات الحتمية. نظراً لأن فرانكل لديه ميل قوي للفصل الأنطولوجي بين البُعد العقلي والبُعد النفسي الفيزيائي، فإنه يواجه صعوبات فلسفية خطيرة، في المقام الأول مشكلة العقل والجسد.

في ضوء مشاكل العقل والجسد، يدعم فرانكل ازدواجية جوهرية صارمة. إنه سؤال لم يتم حله كيف يمكن إعادة توحيد هذه الازدواجية. حتى الآن لا يوجد حل مُرضٍ لفهم التفاعل بين العقل والجسد (وبالنسبة إلى فرانكل، النفس أيضاً) بمجرد فصلهما تماماً.

في الفلسفة، توفر مشكلة العقل والجسد سبباً مقنعاً للتنازل عن الثنائية القوية. على الرغم من أن فرانكل يؤكد دائماً أن البشر يشكلون وحدة الجسد والنفس والروح، إلا أنه ليس من الواضح على الإطلاق كيف يمكن توضيح هذا المزيج فلسفياً.

وينطبق الشيء نفسه على مفهومه للحرية. يفترض فرانكل شكلين من أشكال السببية دون أن يشرح كيفية تقاربهما بالتفصيل.

من وجهة نظر فلسفية، فإن نظرية فرانكل لم يتم تصورها بشكل كاف. فهو يشير إلى العديد من الفلاسفة بطريقة انتقائية ويجمع مفاهيمهم مع مفاهيمه دون معالجة قضايا التماسك بشكل كافٍ. ومع ذلك، فإن تركيزه على المعنى يلعب دوراً مهماً في العلاج النفسي.

ويبقى السؤال كيف يمكن تضمين هذا المفهوم في نظرية فلسفية سليمة دون افتراض وجود أنطولوجي جوهري من ناحية أو أن يكون ناجعاً بحتاً من ناحية أخرى.

من الناحية العلاجية، فإن افتراضات فرانكل الميتافيزيقية لها تأثير على ممارسة العلاج النفسي. على الرغم من أن فرانكل يحاول التمييز بين الدين والعلاج بالمعنى، فإن افتراض العلاقة اللا واعية مع الله وارتباطها بنوع من العُصاب يظهر أن هذا الفصل لا يمكن الحفاظ عليه في جميع الحالات. بسبب الفصل بين البُعد العقلي والبُعد النفسي، يتعين على فرانكل أن يرفض أهمية العواطف والتجربة الذاتية. هناك صلة واضحة بين افتراض فرانكل للمعنى الموضوعي، ومفاهيمه عن الانفصال الذاتي والتعالي عن الذات، وعدم تركيزه على الحياة الداخلية للشخص. توفر العلاقة بين نظرية فرانكل الميتافيزيقية القوية والممارسة العلاجية بالمعنى، تفسيراً سليماً للنقد الذي يمارسه بعض المعالجين الإنسانيين والوجوديين الذين يشعرون بالقلق إزاء الميول الاستبدادية للعلاج بالمعنى.

ملحوظات

1. الطبيب والروح، نشُرت في الأصل باللغة الألمانية باسم (Seelsorge Ärztliche) 1946. تم نشر هذه الترجمة في الأصل، في شكل مختلف، بواسطة شركة Inc, Knopf. A Alfred. في عامي 1955 و1965 هنا مقتبس من الطبيب والروح (1986).

2. إرادة المعنى، نشُر لأول مرة عام 1969. في هذه المقالة مقتبس من الطبعة الموسعة لعام 2014

3. يؤكد فرانكل أن كلمة «روحي» لا يقُصد بها بالمعنى اللاهوتي.

4. الاقتباسات من الأنثروبولوجية غروندلاغين 2005، [1975] ترجمة المؤلف

مراجع

- بولكا، ر. (1978). هل العلاج بالمعنى سلطوي؟ مجلة علم النفس الإنساني، 18(4): .55-45
- كوبر، م. (2003). العلاجات الوجودية. لندن: سيج.
- Ärztliche Seelsorge. Grundlagen der Logotherapie und Existenzanalyse..(ب 2011). ف، فرانكل الطبعة الثالثة. ميونيخ: دار النشر الألمانية تاشينبوخ.
- فرانكل، ف. (2005 [1984]). دير ليديندي مينش. الأنثروبولوجية Grundlagen دير العلاج النفسي، الطبعة الثالثة. برن: هانز هوبر.
- فرانكل، ف. (2011 أ [1948]. الإنسان يبحث عن المعنى النهائي. لندن: إيبوري للنشر. فرانكل، ف. (1986[1955].
- الطبيب والروح. من العلاج النفسي إلى العلاج بالمعنى، الثالث إد.عبر. وينستون، ر. وسي. نيويورك: فينتاج.
- لانغل، أ. (1994). Glaube-Sinn أوGespür-Sinn؟ هناك اختلافات بين الأنطولوجية والوجودية في علاج الشعارات. نشرة جي إل إي11، (2): -15 .
- مايو، ر. (1978). الرد على مقال بولكا. مجلة علم النفس الإنساني، 18(4): -57 .58
- بيتل، ت. (2006).تجاوز الوحش الملاك. فيكتور فرانكل وعلم النفس الإنساني. علمالنفس التحليلي23,(3): 490-503
- روهر، دبليو (2009).فيكتور إي فرانكلس بيجريف دي الشعارات. يموت Sinnes des Sonderstellung في Relationontologie und -Substanz. فرايبورغ/ميونخ: كارل ألبير.
- فايسكوبف- جويلسون، إي.(1975). العلاج بالمعنى: العلم أم الإيمان؟ العلاج النفسي: النظرية والبحث والممارسة 12(3): .240-238
- يالومآي. (1980).العلاج النفسي الوجودي. نيويورك: الكتب الأساسية

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com